إعداد : دعاء محمود جمال

إنـه الصـدق واللّهِ

والله لقد قرأتها بدموع عينى، فاللهم ارزقنا هذا الصدق وهذه البيعة.

أيام الحج تعرفتُ على بعض الأخوات، جلسنا نتحدث عن أمور مختلفة يدور معظمها عن الدار الآخرة، فوجّهت إحدى الأخوات لنا سؤالًا : أخبرونى كيف أتيتم إلى هُنا؟

أجابت كل واحدة عن السؤال إجابات معروفة ومشهورة، من قبيل أن هذه أتى بها زوجها، وهذه أتى بها ابنها ووو.

وبقيت أختٌ أخرى انتظرنا أن تجيب ولكنها سكتت قليلًا، فبادرت السائلة بلَفت انتباهها لتُجيب، فقالت: [أتيتُ بالحُب]!

فتعجبنا جميعًا كيف؟

قالت وقد بدأت الدموع تتجمع فى عينيها: [أحببتُه لدرجة أننى لم أستطع أن أصبر فأتى بى الحب هنا].

فسألتها إحداهن قائلة : كيف هذا؟!

فقالت وهى توضّح: [كان لى منزل صغير، أعيش فيه وحدى بعد موت والدَيّ، عرضته للبيع وبثمن البيع جئتُ إلى هنا].

فغرَت كل واحدة منا فاها! هل هذه من البشر أم جاءت من زمن الصحابة! هل يُعقل؟!

فأسرعنا بسؤالها: [وبعد العودة! أين ستعيشين! أنتِ وحيدة؟ هل لكِ مكان آخر تعيشين فيه؟]

فابتسمت وقالت: [لقد عِشت عمرى كلّه وحيدة بالفعل، حينما آثرت الدنيا على الآخرة، وآثرت نفسى على ربي، وانشغلتُ بشهواتى عن إصلاح قلبي، حينها حقًا كنتُ وحيدة، لأن الحياة الخالية من معرفة الله حياة كئيبة، والقلب الخالى من معرفة الله قلب لا يعرف للأُنس سبيلا ..]

أمّا الآن فلستُ وحدي، معى خالق الكون، ومؤنس القلوب، وجليس من ذكرَه، فكيف أستوحش أو أشعرُ بالوحدة؟]

فقالت إحـدى الأخوات بنبرة هـادئة وتأثُر بالغ بهذا الحـديث:

[وماذا عن مكان معيشتك بعد العودة؟!]

فأجابت قائلة: [أرجو من الله أن يُبدلنى خيرًا منه فى الجنة، فلا طاقة لى بالرجوع مرة أخرى، أخشى أن أعود فأُسلَب حُبًا ملأ قلبى ووِجداني، أخشى أن أعود للدنيا فأفقد الله مرةً أخرى، وأعيش عيشة الحائر لا إلى العصاة ولا إلى العارفين]

فقالت إحداهن متعجبة: [سبحان الله] ثم سكتنا قليلًا .. فأردفت تُكمل: [ولكن حبيبتي، يمكننا مساعدتك فى إيجاد شقة ولو بالإيجار ونوفر لكِ عملًا ، زوجى يستطيع مساعدتك فى هذا الأمر ، عسى الله أن يتقبل منكِ بيعتك، ويرزقك مقابلها فى الجنة]، ثم ربتت على يدها وقالت: [ولكن لا تنسَى نصيبك من الدنيا]

فتبسمت صاحبتُنا وقالت:[أى نصيب يا عَيني؟ لقد أخذتُ نصيبى من الدنيا كاملًا بل أكثر من نصيبي، صدقينى لقد طلّقتُ الدنيا ثلاثًا، لا تفكرن فى هذا الأمر ولا تحملن همّى، فلى ربٌّ لا ينسانى سيرزقنى منزلًا خيرًا من منزلى هاهُنا، هذا ظنى به فهو أوفى حبيب]

ثم قالت: [لله درّ إحدى نساء السلف وهى القائلة : لو كان الموت يُشترى لاشتريته شوقًا لِلقاء ربي].

لا أخفى عليكن، بكينا جميعًا لحالها، وتضاءلت كل التنازلات جانب تنازلها لله، تمنينا لو أن الله أصلح قلوبنا لدرجة صلاحها هذه، أن نخرج فى سبيل الله ولا ننظر للوراء..

ماذا ينتظرنا فى الدنيا، أن نولّى قلوبنا شطر سُبل الصلاح فثمّ النعيم المُقيم.

بعد حديثها لم نعرف ماذا نقول فآثرنا الصمت، وبالفعل ماذا نقول لمُحبّ صدق فى محبته؟

وبينما كنا نفكر فى أمرها وساد الصمتُ، وجدناها تكتب وريقات متعددة، ووزعتها علينا وقالت: [ناشدتكن الله ألا تفتحنها إلا بعد عودتكن]، ورغم الفضول نزلنا على حديثها واستسلمنا لرغبتها..

-هذا هو اليوم التاسع، اليوم الذى تتأهب فيه الأرض لأعظم موكب يمرّ كل عام فى تاريخها، يوم عرفة، يوم تنزّل الملك سبحانه وبحمده للسماء الدنيا، استعد الجميع للدعاء وتأهّبت القلوب للسباق مَن منا المختار يا تُرى والمُصطفى؟

اللهم لا تحرمنا فضلك ولا تحرمنا عفوك ولا تحرمنا عطاءك، وانظر لنا نظرةً لا نشقى بعدها أبدًا..

قُبيل مغرب يوم عرفة قابلنا صاحبتنا فوجدناها ازدادت جمالًا عن ذى قبل، كيف لا وحب الله يُضفى على الروح جمالًا من جمال الله فكيف بالبدن!

فقلت لها: [كلما رأيتكِ تذكرت نساء السلف يا حبيبة، أرجو ألا تكونى نسيتنى من صالح دعائكِ]، فتبسمت وقالت: [لم أنسَ لا تقلقي، أسأل الله ألا ينساكِ]، فارتجف قلبى وأمسكتُ بيدها ومشيناستعدادًا للصلاة فى الحرم.. فقالت لى سأذهب لفعل شيء وأعود إليك، فلم أحب أن أثقل عليها بالسؤال فتركتها تذهب.

فبدأنا الصلاة وهى لم تأتِ بعد فقلقتُ عليها ودعوت الله أن ييسر أمرها، وبعدما فرغنا من الصلاة، وجدنا الناس ملتفّين حول أحد، لا ندرى ماذا يحدث فوقفنا بعيدًا، فإذا بنا نجد صاحبتنا قد ماتت، لا أستطيع وصف الصدمة والذهول الذى بدا علينا، فاقتربنا منها والدمع كالسيل، فقالت إحدانا: [ربحَ البَيع يا حبيبة، ربح البيع، لقد أبدلكِ الله جوارًا خيرًا من جوارنا وبيتا خيرًا من بيوتنا ومنزلًا خيرًا من منزلنا، لله درّ الصادقين لقد أحدثوا فى قلوبنا العجب العجاب.

دُفنت الحبيبةُ فى خَير بقاع الأرض وصلينا عليها عقب صلاة العشاء، لو كان الموت يُشترى لاشتريته، فما العُملة يا رب؟ فما العُملة!

إنّـه الصدق واللهِ..

الصدق الذى دفع المُحبين لبيع الغالى والنفيس مقابل نظرة رضا من الله عز وجل.

لما عُدنا كان كل ما يشغل بالى هو العودة لفتح الورقة التى كتبتها لنا حبيبة، ففتحتها فورَ وصولى لبلدتى فوجدتُ فيها [بسم اللهِ الرحمٰنِ الرحيم، من المؤمنينَ رجالٌ صدقوا ما عاهدُوا اللهَ عليهِ، الحمدُللهِ الذى لم يخذل صادقًا، بالصدق بلغ أصحابُ النبى فهلّا صدقنا؟]

بكيتُ لساعاتٍ طوال، لقد كان موقف موتها مَهيبا، لقد صلّى عليها أكثر من مليون مسلم، هذا التشريف من أهل الأرض فكيف بأهل السماء، رُحماك يارب لقد أسرفنا، فهلا قبلتنا وأدخلتنا فى الصالحين، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ارضى بحياتك الجديدة

عارفه لما تصحى من النوم تفتحى الشيش
اللى لسه ماسحة التراب من عليه إمبارح
تلاقيه مليان تراب
الحمام اللى لسه منظفاه قبل ما تنامى عايز
يتنظف تاني
السرير اللى لسه غسلة ملاياته وكفره
وكوفرته والولاد عملوا عمايلهم عليه
باسكت الغسيل اللى كان فاضى إتملى
الدولاب اللى مترتب من يومين بقى فوق
بعضه تاني
الأرض اتلزقت
والفرخة اللى حتطبخيها لسه مفكتش
وووو
فعينك تشوف البيت كله متبهدل وكل حاجة
تقرف والحياة كلها تزهق ومفيش فايدة من
الترويق والنظافة وأنتى ست فاشلة والحياة
كلها ملهاش قيمة ..!
فهوب المود الكئيب يسيطر والنرفزة تطغى
عليكى والعصبية تبقى مود بداية اليوم ..
ونهايته
خصوصا لوورا الكواليس طفل بيزن
وغيره عايز يغير
وغيره جعان
وفى خناقة هناك عايزة تتفض
وفى واجبات اجتماعية متعملتش
بس وسط كل ده إنتى فى زحام من النعم
أيوه إنتى قريتها صح
نعمة إن فى بيت نظيف وبيتوسخ ويتنظف
تانى وأدوات ده متاحة لإن ده الطبيعي
ونعمة إن عندك صحة تقومى بالمهام دى
ونعمة إن عندك أسرة وونس
ده غير نعمة الأولاد اللى مفيش كلام يوصفها
مهما اشتكيتى ومهما تعبوكى وبهدلوكي
نعمة الأمان والستر والعافية فى الأبدان
والأموال وقلوب الأحباب
متسيبيش نفسك للشيطان يسيطر عليكى
ويخليكى متشوفيش غير الوحش وبس
ليه لما صحيتى مبصتيش فى وش ولادك
وهما نايمين بدل الشيش
مفتكرتيش إنك حمّتيهم قبل ماتنامى وكانو
مبسوطين ونامو مرتاحين عشان كده الحمام
اتبهدل
مفتكرتيش ليه أيام الثانوى والجامعة
وبهدلة المواصلات والمذاكرة والامتحانات
ومش فاكرة دلوقتى غير إنها أجمل أيام حياتك
رغم البهدلة والتعب اللى كانوا فيها
ارضى بحياتك الجديدة ووضعك الجديد
واتأقلمى مع النقائص اللى فيها ومنغصات
الحياة البيئية الطبيعية والآدمية
البيوت اللى بتلمع نظافة وراها كواليس كتير
عينك مش بتشوفها
والفرحة جواكى والجمال حواليكى بس انتى
اختارى تشوفيه **الحمد لله دائما وابدا
منقووول

ابنتك يجب أن تذهب إلى الجامعة

كنت أستحم كل يوم فى المرحاض العام قبل أن أذهب إلى بيتي، حتى لا تعرف بناتى طبيعة عملي.

حين سألتنى ابنتى الصغرى، أخبرتها بأنى عاملٌ زراعي.

لقد أنفقت كل مالى فى تعليم بناتي. لم أشترِ يوماً ثياباً جديدة لي. بل كنت أشترى كتباً لهنّ. كان كل ما أريده منهنّ هو الاحترام. لقد كنت عامل نظافة.

عشية اليوم الأخير لتسجيل ابنتى فى الجامعة، لم أستطع تأمين رسوم التسجيل. شعرت بالعجز عن العمل ذلك اليوم. جلست إلى جانب أكوام النفايات محاولاً إخفاء دموعي.

كان زملائى ينظرون إلىّ، لكن أحداً منهم لم يأتِ ليكلّمني..

فى نهاية يوم العمل، كل العمال توجهوا نحوي، جلسوا بقربى وسألونى إن كنت أعتبرهم بمثابة إخوتي. وقبل أن أتمكن من الرد كانوا قد قدموا لى أجر يومهم.

وحين حاولت الاعتراض قالوا: يمكن لنا أن نجوع يومنا إذا اقتضى الأمر، لكن ابنتك يجب أن تذهب إلى الجامعة..

ذلك اليوم لم أستحم قبل ذهابى إلى المنزل. لقد ذهبت بصفتى عامل نظافة.

سوف تنهى ابنتى الصغيرة دراستها الجامعية، وهى فى هذا الوقت تعمل بدوام جزئي، وأخواتها الثلاث يقمن بإعطاء الدروس، ولم يعد يسمحن لى بالذهاب إلى العمل، لكنهن يصطحبننى إلى حيث كنت أعمل لأتناول الطعام مع زملائى القدامى الذين كانوا يضحكون ويسألون عن سبب تقديم الطعام لهم. وكانت ابنتى تجيبهم: لقد جعتم فى ذلك اليوم من أجلي.. ادعوا لى كى أستطيع مساعدتكم فى كل الأيام.. كيف لمن عنده هؤلاء البنات أن يشعر بالفقر؟!

عن مقال فرنسي